

أضواء البيان

@ 220 @ أظهر أقوال العلماء في هذه الآية الكريمة ، أن الكافرين الذين قالوا للمؤمنين لو كان خيراً ما سبقونا إليه ، أنهم كفار مكة ، وأن مرادهم أن فقراء المسلمين ، وضعفاءهم كبلال وعمار وصهيب وخباب ونحوهم ، أحقر عند الله من أن يختار لهم الطريق التي فيها الخير . .

وأنهم هم الذين لهم عند الله عظمة وجاه واستحقاق السبق لكل خير لزعمهم أن الله أكرمهم في الدنيا بالمال والجاه ، وأن أولئك الفقراء لا مال لهم ولا جاه ، وأن ذلك التفضيل في الدنيا يستلزم التفضيل في الآخرة . .

وهذا المعنى الذي استظهرناه في هذه الآية الكريمة تدل له آيات كثيرة من كتاب الله ، وخير ما يفسر به القرآن القرآن . .

أما ادعاؤهم أن ما أعطوا من المال ، والأولاد والجاه ، في الدنيا دليل على أنهم سيعطون مثله في الآخرة ، وتكذيب الله لهم في ذلك ، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى { أَيْحَسِبُونَ أَنْ نَمَسَّا نُمِدَّ هُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنَيْنَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } ، وقوله تعالى { أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِرَأْيَايَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنْ الْوَعْدِ أَبَ مَدًّا } . وقوله تعالى { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } مع قوله { وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِإِلَهِتِي تُفَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى } . وقوله تعالى : { وَلَئِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى رَبِّي إِنْ لِيَ عِنْدَهُ لَلْأَحْسَنِ فَلَئِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى رَبِّي إِنْ لِيَ عِنْدَهُ لَلْأَحْسَنِ فَلَئِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى رَبِّي إِنْ لِيَ عِنْدَهُ لَلْأَحْسَنِ فَلَئِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى رَبِّي إِنْ لِيَ عِنْدَهُ لَلْأَحْسَنِ } . .

وأما احتقار الكفار لضعفاء المؤمنين وفقرائهم ، وزعمهم أنهم أحقر عند الله ، من أن يصيبهم بخير ، وإنما هم عليه لو كان خيراً لسبقهم إليه أصحاب الغنى ، والجاه والولد ، من الكفار فقد دلت عليه آيات أخر كقوله تعالى في الأنعام : { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَآؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا } . .

فهمزة الإنكار في قوله : أهؤلاء من اؑ عليهم من بيننا ، تدل على إنكارهم أن اؑ يمن
على أولئك الضعفاء بخير .